عروض

عروض موقعة :

- المرأة في الفكر العربي الحديث
- الأسرة العربية في الأدب العربى: العصر الجاهلى، العصر العباسى
- حوار الحضارات
- اللورد كرومر الإمبريالي والحاكم الاستعماري

المرأة في الفكر العربي الحديث

سالم، أحمد محمد.
المرأة في الفكر العربي الحديث/ تأليف أحمد محمد سالم ؛ إشراف عادل بدر. ـــ القاهرة: مركز جيل ٢٠٠٠ للكمبيوتر، ٢٠٠١ . ـــ ٣٠٩ص.

عرض
أمل عبد القادر
أخصائى أول مكتبات ـ المكتبة المركزية
جامعة القاهرة

لم تكن قضية المرأة في الفكر العربي الحديث بعيدة عن الأطروحات الفكرية السائدة في تلك الفترة حيث ارتبطت قضية نهضة المرأة، وحريتها بجدل الفكر العربي الحديث.

وكانت قضية المرأة هي أحد القضايا الخلافية التى دار حولها جدل واسع بين تيارات الفكر العربي المختلفة، فثارت العديد من المعارك الفكرية بين الليبراليين والمحافظين حول قضايا الحجاب، وحرية المرأة وتعدد الزوجات، والطلاق..الخ، وهذا ما يعكس أن قضية المرأة قد تقاطعت مع العديد من الموضوعات الفكرية السائدة في الفكر العربي الحديث.

ونجد أن المرأة في المجتمعات العربية ـــ ونحن في أوائل القرن الحادي والعشرين ـــ مازالت تعانى من التخلف، والظلم الاجتماعي سواء من الرجل، أومن العادات والتقاليد والأعراف السائدة في المجتمع، وكذلك فمازالت المجتمعات العربية إلى الآن تعلى من قيمة الذكر على الأنثى ولعل السبب في هذا استمرار التصورات القبلية في مجتمعاتنا، فمازال العديد من الأسر يفضلون الذكور على الإناث، بل إن بعض المتعلمين تعليما رفيعا في المجتمع أحيانا ما يكثرون النسل من أجل إنجاب الذكور، ولم يكن التعليم وسيلة لتغيير صورة المرأة في المجتمع بل أن هناك العديد من حالات الطلاق، أو الزواج بأخرى على زوجته يعود نتيجة لأن الزوجة لم تنجب له الولد، في حين أن العلم الحديث أثبت أن الرجل هو المسئول عن تحديد نوعية الجنين.

وقد عكست المعارك الفكرية السائدة في عصر النهضة العربي حول قضايا المرأة مدى رقى لغة الحوار في تلك الفترة، ومدى إدراك كل توجه فكرى لحق الاختلاف مع التيارات الأخرى دون سعى كل تيار إلى تكفير التيار الآخر، وقد أسهمت هذه المعارك الفكرية في ثراء الفكر العربي الحديث، وثراء الإنتاج الفكري، وذلك يعكس ما حدث في أواخر القرن العشرين من قيام أصحاب التوجهات المحافظة بتكفير كل من يختلف معهم في الآراء، ولعل

سوط التفكير الذي ظهر في أواخر القرن العشرين أحد الأسباب الرئيسية في غياب روح الإبداع الفكري من فكرنا العربي.

وعلى الرغم من فاعلية المرأة في بعض المجتمعات، وخاصة المجتمع الريفي في مصر،إلا أن المؤلف قد لاحظ أن بعض الرجال يستغلون حقهم في الطلاق أحيانا، بدعوى القوامة.

وأحيانا أخرى نجدهم يتركون بعض النساء معلقات لاهن متزوجات، ولاهن مطلقات، كما أن الفلاحين في الريف المصري أحيانا ما يخرجن بناتهن لعمل في الحقل، فيتركن التعليم إما بدعوى الفقر والحاجة، وإما بدعوى أن مآل البنت إلى الزواج.

ومما لاشك فيه أن جهل الآباء والأمهات قد يكون وراء ظلم البنت في المجتمع الريفي، كما أن العادات والتقاليد والأعراف أحيانا ما تكون وراء ظلم البنت، وإهدار حقوقها.

ويرى المؤلف أنه عندما يحاول بعض المسئولين في العالم العربي سن التشريعات التى تحسن وضعية المرأة في المجتمع. فغالبا ما يواجهون بضغوط شديدة من التوجهات المحافظة في المجتمع، كما يرى المؤلف أن التغيير في وضعية المرأة في المجتمعات العربية إنما يرجع في المقام الأول إلى دور القرار السياسي في المجتمع، فالمرأة لا تحصل على حقوقها إلا بقرار سياسي، أو تشريع قانوني وتظل جهود الفكر والثقافة مجرد إرشادات وإضاءات فقط، وقد يرجع هذا إلى أن دور الفكر هو إنارة المناطق المظلمة في المجتمع، وتوجيه النظر إلى المشكلات فيه ومحاولة الوصول إلى حلول لها.

وعلى الرغم من الدور الرئيسي للسياسة في قضايا المرأة، فإنه يظل السبق دائما للفكر في طرح المشكلات الخاصة بالمرأة، ولهذا فقد سعى المؤلف إلى إظهار مدى محورية قضية المرأة في الفكر العربي الحديث.

وقد اسهم تطور الواقع التاريخي بدور بارز في معالجة قضايا المرأة حيث أسهمت ثورة ١٩١٩ في مشاركة المرأة المصرية في الأحداث التاريخية الوطنية، وخروجها من حجابها، فلم تكن الأطروحات الفكرية لقاسم أمين وغيره كافية وحدها لخروج المرأة من خدرها، وكذا فقد أسهم التطور التاريخي في تركيا على يد كمال أتاتورك إلى ترك آثار واضحة على قضية المرأة في العالم العربي.

ولاشك أن الواقع التاريخي قد أسهم بدور إيجابي في تجديد النظر في وضعية المرأة وقضاياها، فما يفعله تطور الواقع الاجتماعي، والسياسي، والتاريخي يفوق بكثير مجرد الكلام النظري لدى المفكرين العرب فلم يكن التنظير وحده كافيا في تغيير وضعية المرأة في تلك الفترة التاريخية.

وقد اهتمت كل تيارات الفكر العربي الحديث وخاصة في الفترة من (١٨٥٠-١٩٥٠) بقضية المرأة حيث قامت العديد من الاختلافات الفكرية في تلك الفترة حول الإجابة على عدد من التساؤلات الهامة مثل:

- هل نهضة المرأة العربية تتحقق باتباع النموذج الغربي أم النموذج الإسلامي؟
- ما هو دور الواقع الاجتماعى، والاقتصادى، والسياسى فى معالجة قضايا المرأة؟
- ما هو حجم الخلاف بين التوجهات الفكرية حول الحجاب، وحقوق المرأة، وقضايا الأحوال الشخصية مثل تعدد الزوجات، وتقييد الطلاق؟

وقد قام المؤلف في ضوء التساؤلات السابقة بتجميع معظم المؤلفات التى استطاع الحصول عليها في تلك الفترة التاريخية ــ (١٨٥٠-١٩٥٠) ــ سواء من دار الكتب، أومن المكتبة العامة لجامعة القاهرة، أومن مركز جمعه الماجد بدبي، واكتفى بالصورة التى ترسمها تلك المؤلفات، ولم يسعى إلي الحصول على صورة المرأة في الصحافة في تلك الفترة فهذا موضوع منفرد بذاته يمكن أن يصلح موضوعا لبحث آخر.

وجاءت محاور هذا الكتاب في خمسة فصول كالآتي:-

الفصل الأول:- نهضة المرأة بين أسباب التدني..وسبل الإصلاح؛ ويعالج في هذا الفصل الأسباب التى ساهمت في تدنى وضعية المرأة في تلك الفترة التاريخية كما عرضها الفكر العربي، حيث احتلت قضية المرأة إصلاح وضعية المرأة، ومن هنا يكتسب هذا الفصل أهميته، لأنه يعكس مدى ثراء قضية المرأة بين التوجهات الفكرية فى الفكر العربى الحديث.

وأتخذ معظم أقطاب الحركة النسائية فى عصر النهضة من إيديولوجيا الإصلاح طريقا واضحا لهن فى مكانتها البارزة في عصر النهضة العربي، وذلك نتيجة لتدنى وضعية المرأة منذ العقود الأخيرة في الدولة العثمانية، ولهذا كان هناك شبه إجماع بين المفكرين، وأقطاب الحركة النسائية على ضرورة إصلاح وضعية المرأة لأنها تمثل الركيزة الأساسية لأي مجتمع ناهض يسعى إلى الرقى والتقدم.

ومن ثم فقد ركز المفكرون والباحثون على البحث عن أسباب تدهور وضعية المرأة في المجتمع الشرقي ورأوا أن تدهور وضعية المرأة يرجع إلى تدهور العادات والتقاليد السائدة في المجتمع،ولهذا فقد طالب بعض المفكرين بضرورة تجديد الفكر للنهوض بالمرأة.

وقد دار النقاش بعد ذلك حول التساؤل: كيف تنهض المرأة؟ هل تنهض باتباعها نموذج المرأة في الحضارة الإسلامية، أم نموذج المرأة في الحضارة الأوروبية الحديثة؟، في الإجابة عن هذا التساؤل اختلف المفكرون والمصلحون حول الوجهة التى ينبغي اتباعها في إصلاح وضعية المرأة، وهنا وجد المؤلف العديد من الاختلافات الفكرية حول هذه الإشكالية بين (قاسم أمين/ وناقديه)، أو بين (نظيرة زين الدين، ومصطفى الغلاييني)، أو بين(عبد القادر المغربي، والشيخ الصابوني)...الخ من المناقشات الهامة حول إصلاح وضعية المرأة، ومن هنا يكتسب هذا الفصل أهميته، لأنه يعكس مدى ثراء قضية المرأة بين

التوجهات الفكرية المختلفة في الفكر العربي الحديث.

واتخذ معظم أقطاب الحركة النسائية في عصر النهضة من إيديولوجيا الإصلاح طريقا واضحا لهن في معالجة قضايا المرأة بدءً من زينب فواز، وباحثة البادية، ونبوية موسى، وهدى شعراوى، وانتهاء بدرية شفيق.

فالكل رأين أن الإسلام أعطى للمرأة كافة حقوقها، وأن علينا الاقتضاء بالإسلام، ورفض تقاليد الغرب في مسائل الهامشية، وإن ركزن جميعا على ضرورة نقل العلوم عن الغرب، وأشرن إلى ضرورة مراعاة خصوصية المجتمعات العربية في مسألة المرأة على وجه الخصوص.

ويأتي الفصل الثاني:- المرأة بين الاحتجاب..والحرية

ويعالج هذا الفصل مدى الخلاف الكبير بين توجهات الفكر العربي حول قضية الحجاب،والتي بسببها قامت معارك فكرية بين مختلف تيارات الفكر العربي الحديث، وعلى رأس هؤلاء كان شيوخ القرن التاسع عشر يركزون على أهمية الحجاب لأن التربية وحدها غير كافية لتحقيق الفضيلة في المجتمع.

وجاء قاسم أمين بعد ذلك ليرفض الاحتجاب المنزلي للمرأة لأنه يحرمها من الحصول على حقوقها، ويحرمها من حق العلم، وإدارة شئون حياتها، وكان يرى أن التربية هي الحجاب الحقيقي، وقد هاجم ناقدو قاسم أمين آراءه، واتهموه بالجهل بالإسلام، واتباع الغرب، واتهموه بأنه يدعو إلى الاختلاط، والرذيلة في المجتمع، وكان على رأس هؤلاء طلعت حرب، ومحمد فريد وجدي، وعبد المجيد خيري، ومحمد أحمد البولاقى.

وقد اتفق اغلب أقطاب الحركة النسائية على ضرورة الحشمة في الزي والاعتدال، والسير على نهج التيار الإصلاحي في قضية الحجاب، ولكنها رفضت الاحتجاب المنزلي اتباعا لآراء قاسم أمين، وكذا فقد أثارت نظيرة زين الدين بكتابها "السفور والحجاب" جدلا واسعا في لبنان وهاجمها العديد من الشيوخ وعلى رأسهم مصطفى الغلاييني الذي تصدى بالرد عليها.

وبعد التعرض لموقف الفكر العربي من الحجاب ينتقل المؤلف إلى ضرورة الانتقال من الاحتجاب إلى ممارسة الحرية كقيمة كبرى لحصول المرأة على حقوقها على كافة المستويات الاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية، وفى الموقف من الحرية ثار جدلا واسعا بين دعاة تحرير المرأة، ودعاة المحافظة.

ومن هنا يكتسب هذا الفصل أهمية في الكشف عن الصراع الفكري الدائر حول الحجاب، والحرية، والخروج لتحصيل العلم، والمعرفة، والعمل، وذلك لمواجهة دعاوى بعض المحافظين في ضرورة احتجاب المرأة في المنزل..

وجاء بعد ذلك تيار يناقش الأصول الاجتماعية والتاريخية للحجاب،حيث نجد أن هناك تيار يقول بتاريخ للحجاب سابق على الإسلام ولا يقتصر هذا التيار على الليبراليين ولكنه أشتمل على بعض

الشخصيات الإصلاحية مثل عباس العقاد، وشخصيات التيار العلمي العلماني مثل الطاهر الحداد، وسلامه موسى، وإسماعيل مظهر.

أما الفصل الثالث فهو عن: ـ تربية المرأة وتعليمها حيث يناقش في هذا الفصل أهمية قضية تربية المرأة وتعليمها في آراء العديد من الكتاب والمفكرين العرب المحدثين، ذلك لأن التربية تسهم في بناء الإنسان بصفة عامة، والمرأة بصفة خاصة، لأن الاهتمام بتربية المرأة معناه وضع اللبنة الأولي في بناء الأسرة والمجتمع، لأن المرأة هي التى تقوم بتربية الأبناء.

ومن ناحية أخرى فقد اعتبر البعض أن التربية والتعليم شئ واحد،في حين ميز البعض الآخر بين التربية والتعليم،ورأوا أن التربية أشمل من التعليم.

ولقد عول معظم المفكرين العرب على التعليم في تنوير عقل المرأة من الخرافات، ولهذا أجمع جل المفكرين على اختلاف مشاربهم على أهمية تعليم المرأة، والخلاف بينهم كان في إعطاء الأولوية عند البعض للتعليم الديني، واهتمام البعض الآخر بالجمع بين التعليم الديني والدنيوي في وقت واحد، وكذا أجمع معظم المفكرين على أهمية تعليم المرأة الحرف والصناعات المنزلية التى تسهل للمرأة القيام بواجباتها وأعبائها المنزلية.

هذا في حين عمد قاسم أمين إلى التركيز على التربية الجسمية والعقلية للمرأة فالتربية عنده هي أساس العفة والفضيلة، وهى أساس رقى المرأة، وقد هاجم ناقدو قاسم أمين مفهومه عن التربية، واتهموه أنه يريد التربية بالمفهوم الغربي، في حين ألهم يريدون التربية بالمعنى الديني الإسلامي،... وكان اهتمام أقطاب الحركة النسائية بالتربية من منطلق إعداد المرأة للعمل المنزلي، وتربية جيدة حتى لا يقبل الرجال على الزواج من الأجنبيات.

وهى مشكلة كانت موجودة في تلك الفترة، ولكن الغريب أن لبيبة هاشم في كتابها عن التربية رأت أن التربية هي علم غربي خالص، ولا يعنى كونها علما غربيا خالصا ألا نأخذ بها، فمن الضروري تربية النساء تربية جيدة حتى تستطيع المرأة القيام بأعباء الزوجية، ورفضت نبوية موسى الاقتصار في تعليم البنات على الأعمال المنزلية فقط لأن في ذلك إعدام لمواهب المرأة.

وقد رفض الطاهر الحداد أن نقيم تربية المرأة على الخضوع والانكسار، ونادى بضرورة أن تربى المرأة تربية جيدة حتى يمكن أن تخرج من الوضعية المتدنية التى تعيش فيها.

إن قضية تربية المرأة وتعليمها هي القضية التى كان فيها اتفاق واضح بين التوجهات الفكرية المختلفة، ولم تبرز فيها المعارك الفكرية التى برزت في قضية الحجاب، وقضية حقوق المرأة.

واهتم أقطاب الحركة النسائية اهتماما عظيما بمسألة تعليم المرأة، فرأت زينب فواز أن تعليم المرأة يعود نفعه في المقام الأول على الرجل، وتربية الأولاد، ورأت أنه من الضروري تأسيس مدارس البنات على التعليم الديني، وتعليم التدبير المنزلي، وقد كافحت أقطاب الحركة النسائية كفاحا

كبيرا من أجل تعليم المرأة فكانت باحثة البادية تدفع البنات في الفيوم إلى التعليم، وكذا كانت تفعل نبوية موسى بحكم كونها من أوائل رائدات التعليم في مصر، وكن يركزن على تعلم اللغة العربية لأنها مفتاح تعليم العلوم، وطالبن بضرورة تعلم بقية العلوم كالحساب، والتاريخ، والجغرافيا بالإضافة إلى تعلم التدبير المترلي، كما انتقدت نبوية موسى وجود المدارس الأجنبية في مصر لأنها تشوه التعليم.

كما سعت نظيرة زين الدين إلى تأصيل تصورها للتعليم من خلال السياق الديني، فرأت أن الإسلام حث على التعليم، وأن الرسول عليه الصلاة والسلام ذهب إلى أن التعليم فريضة على كل مسلم ومسلمة.

إن هذا يعنى أن تربية المرأة وتعليمها كانت أحد القضايا الهامة التى أجمع عليها كافة التوجهات الفكرية، كما يوضح المؤلف مدى الخلاف بين الليبراليين والمحافظين حول التربية، وذلك لأن المحافظين يطالبون بالتربية وفقا للنموذج الإسلامي، ويتهمون الليبراليين بأنهم يسعون إلى تربية المرأة وفقا للنموذج الغربي.

ويكشف لنا المؤلف عن أهمية تعليم المرأة، ويوضح كيف أن هناك اتفاقاً عاماً بين توجهات الفكر العربي حول حقوق المرأة في التعليم.

أما الفصل الرابع:- حقوق المرأة

وفى هذا الفصل يعالج موضوع المساواة بين المرأة والرجل، والرد على دعاوى الاتجاه المحافظ في التركيز على الخلاف البيولوجي بين المرأة والرجل كأساس لعدم المساواة بينهم، وهذا ما يؤكد التيار المحافظ لصالح إعلاء قيمة الرجل على المرأة، والقول باستحالة تحقيق المساواة بينهم، في حين رفض قاسم أمين أن تقف هذه الخلافات حائلا دون تحقيق المساواة بين الرجل والمرأة، وأكد على حقوق المرأة في المساواة بالرجل، ودافع عن دور الشريعة الإسلامية في إعطاء المرأة كافة حقوقها.

وكذلك فقد اتفق أغلب مفكرى الفكر العربي الحديث حول كون ميراث المرأة نصف ميراث الرجل، وبرروا ذلك بأن الرجل واجب عليه كفالة المرأة في الإسلام، في حين أن المرأة غير مسئولة عن عملية الصرف في الإسلام.

ومن ناحية أخرى فقد اختلف الفكر العربي الحديث حول مسألة عمل المرأة ما بين مؤيد لعمل المرأة خارج المترل، وبين رافض لعملها خارج المترل، والمناداة بضرورة قصر عمل المرأة في حدود المترل فقط، ولقد تشعبت الآراء حول قضية عمل المرأة.

وتعددت الآراء في إباحة العمل خارج المترل في رأي كل من رفاعة الطهطاوى، وقاسم أمين، وسلامة موسى، الذين كانوا يرون أن المرأة العاملة تستطيع أن تملك القدرة على اختيار زوجها بصورة أفضل ممن لا تعمل، لأنها لا تختار الزوج الذي يطعمها وكفى، ولكنها تختار شريك حياتها.

كما أن عمل المرأة يعطيها قوة في الحياة الزوجية، وإنها تشارك فيها من الناحية الاقتصادية، مما يجعلها متكافئة مع الرجل، ولا تعيش نكرة، كما أنها لا تخشى غائلة الأيام من غدر الزوج لأنها تعمل،

وتستطيع الصرف على نفسها، وهذا عكس الزوجة التي لا تعمل فإنها أحيانا كثيرة ما تعاني من ظلم الزوج، وتتحمل من أجل أبنائها، ولأنها لا تستطيع أن تصرف على نفسها.

في حين تصدى طلعت حرب، ومحمد فريد وجدي لإباحت عمل المرأة، وحاولا تعميق الفروق البيولوجية بين الذكر والأنثى ليؤكدا إن حدود العمل للمرأة المترل فقط.

وأخيرا الفصل الخامس عن:- الأحوال الشخصية

ويعالج في هذا الفصل قضايا الزواج وأهميته للنوع الإنساني وضرورة مراعاة التكافؤ بين الأزواج، بل وضرورة رؤية كلا من الزوجين للآخر قبل عقد الزواج حتى لا تزداد حالات الطلاق في المجتمع.

ويناقش المؤلف مدى الخلاف بين التوجهات الفكرية حول قضية تعدد الزوجات، ومدى الاختلاف حول هذه المسألة، وهل الأصل في الزواج الوحدة أم التعدد؟ لقد أجمع جل مفكرو الفكر العربي الحديث على مختلف توجهاتهم على أن الأصل في الزواج الوحدة، وطالب معظمهم بضرورة تقييد تعدد الزوجات لصلاح حال الأسرة والمجتمع.

كما يناقش المؤلف قضية الطلاق وضرورة تقييده وعدم فتح المسألة على مصراعيها، وإطلاق يد الرجل في الطلاق، وبيان الطرق التي من خلالها يمكن تقييد الطلاق سواء عن طريق التحكيم أو التركيز على أن يكون الطلاق أمام قاضي وشهود، حتى يمكن تأخير الطلاق أطول فترة ممكنة.

وقد حاول معظم مفكرى الفكر العربي الحديث على كافة اتجاهاتهم تقييد الطلاق وكشف محمد عبده، وقاسم أمين، والطاهر الحداد عن مشاكل كثرة الطلاق على الأسرة والمجتمع،ولهذا فقد سعى أغلب المفكرين — وبصفة خاصة قاسم أمين والطاهر الحداد — إلي تقييد الطلاق فدعى محمد عبده،وتلميذه قاسم أمين إلى ضرورة تفعيل مبدأ التحكيم بين الزوجين حين ينشب الخلاف بينهما.

هذا كما سعى الطاهر الحداد إلى المناداة بإنشاء محكمة للأسرة يتم عن طريقها مباشرة شئون الطلاق وتفعيل مبدأ التحكيم، وضرورة أن يتم الطلاق أمام القاضي، فقد يتراجع الرجل أمام العديد من الشروط،ويمكن أن يتراجع عن مسألة الطلاق...

ومن ناحية أخرى فقد أباح بعض المصلحين ورجال الدين في الفكر العربي الحديث للمرأة أن تخلع زوجها إذا كانت واقعة تحت ظلم من زوجها، أو أنها ترفض استمرار الحياة معه، ومن هنا يمكن أن نلاحظ أن ما جاء في القانون المصري الأخير حول الأحوال الشخصية بشأن تقييد الطلاق، وتفعيل مبدأ التحكيم، وإباحة الخلع للمرأة، وكل هذه الأمور نادى بها الفكر العربي الحديث.

وعلى الرغم من تقييد جل مفكرى الفكر العربي الحديث للطلاق إلا أن قليل من المحافظين كشفوا النقاب عن بعض فوائد الطلاق، وذلك في حالات تعذر الحياة بين الزوجين.

وفى نهاية هذا الكتاب فإننا نجد قائمة بمصادر ومراجع البحث التى بلغت٦٣ مرجعا تخص هذا الكتاب، ولكن ما يؤخذ على طريقة عرض المراجع أن المؤلف في نهاية كل فصل وضع قائمة مصادر غير مرتبة هجائيا مما يمثل صعوبة للقارئ في الوصول إلى المرجع المشار إليه في متن الكتاب، كذلك جاءت طريقة طباعة الكتابة لا تساعد القارئ على القراءة حيث إن الخطوط صغيرة.

ومع هذا فإن هذا الكتاب قد حرص مؤلفه على وصف قضية المرأة في الفكر العربي بمنتهى الدقة، وبذل الكثير من الجهد في وصول مختلف الآراء فى موضوع هذا الكتاب إلى القارىء.